5 - { عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن } أي يعطيه بدلكن أزواجا أفضل منكن وقد علم ا سبحانه أنه لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته على أنه إن وقع منه الطلاق أبدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله : { وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم } فإنه إخبار عن القدرة وتخويف لهم ثم نعت سبحانه الأزواج بقوله : { مسلمات مؤمنات } أي قائمات بفرائض الإسلام مصدقات با وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وقال سعيد بن جبير : مسلمات أي مخلصات وقيل معناه : مسلمات لأمر ا ورسوله { قانتات } مطيعات والقنوات الطاعة وقيل مصليات : { تائبات } يعني من الذنوب { عابدات } متذللات له قال الحسن وسعيد بن جبير : كثيرات العبادة { سائحات } أي صائمات وقال زيد بن أسلم : مهاجرات وليس في أمة محمد A سياحة إلا الهجرة قال ابن قتيبة والفراء وغيرهما : وسمي الصيام سياحة لأن السائح لا زاد معه وقيل المعنى : ذاهبات في طاعة ا من ساح الماء إذا ذهب وأصل السياحة الجولان في الأرض وقد مضى الكلام على السياحة في سورة براءة { ثيبات وأبكارا } وسط بينهما العاطف لتنافيهما والثيبات : جمع ثيب وهي المرأة التي قد تزوجت ثم ثابت عن زوجها فعادت كما كانت غير ذات زوج والأبكار جمع بكر وهي العذراء سميت بذلك لأنها على أول حالها التي خلقت عليه .

وقد أخرج البخاري وغيره عن عائشة أن رسول ا A كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها لبنا أو عسلا فتواصيت أنا وحفصة إن أيتنا دخل عليها النبي A فلتقل إني أجد منك ريح مغافير فدخل على إحداهما فقالت ذلك له فقال : لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود فنزلت : { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لك } إلى قوله : { إن تتوبا إلى ا } لعائشة وحفصة { وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا } لقوله : بل شربت عسلا وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند صحيح عن ابن عباس قال : [كان رسول ا A شرب من شراب عند سودة من العسل فدخل على عائشة فقالت : إني أجد منك ريحا فدخل على حفصة فقالت : إني أجد منك ريحا فقال : أراه من شراب شربته عند سودة وا لا أشربه أبدا فأنزل ا { يا أيها النبي لم تحرم } الآية] وأخرج ابن سعد عن عبد ا بن رافع قال : سألت أم سلمة عن هذه الآية { يا أيها النبي لم تحرم } قالت : كانت عندي عكة من عسل أبيض فكان النبي A يلعق منها وكان يحبه فقالت له عائشة : نحلها تجرس عرفطا فحرمها فنزلت الآية وأخرج النسائي والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس : [أن رسول ا A كانت له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فأنزل ا هذه

الآية { يا أيها النبي لم تحرم }] وأخرج البزار الطبراني قال السيوطي : بسند صحيح عن ابن عباس قال : قلت لعمر بن الخطاب : من المرأتان اللتان تظاهرتا ؟ قال : عائشة وحفصة وكان بدو الحديث في شأن مارية القبطية أم إبراهيم أصابها النبي A في بيت حفصة في يومها فوجدت حفصة فقالت : يا رسول ا لقد جئت إلي بشيء ما جئته إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري على فراشي قال ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها أبدا ؟ قالت : بلى فحرمها وقال : لا تذكري ذلك لأحد فذكرته لعائشة فأظهره ا عليه فأنزل ا { يا أيها النبي لم تحرم } الآيات كلها فبلغنا أن رسول ا A كفر عن يمينه وأصاب مارية وأخرجه ابن سعد وابن مردويه عنه بأطول من هذا وأخرجه ابن مردويه أيضا من وجه آخر عنه بأخصر منه وأخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه عنه مختصرا بلفظ قال : حرم سريته وجعل ذلك سبب النزول في جميع ما روي عنه من هذه الطرق وأخرج الهيثم بن كليب في مسنده والضياء المقدسي في المختارة من طريق نافع عن ابن عمر قال : قال النبي A لحفصة لا تحدثي أحدا وإن أم إبراهيم علي حرام فقالت : أتحرم ما أحل ا لك ؟ قال : فوا لا أقربها فلم يقربها حتى أخبرت عائشة فأنزل ا { قد فرض ا لكم تحلة أيمانكم } وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن أبي هريرة أن سبب نزول الآية تحريم مارية كما سلف وسنده ضعيف فهذان سببان صحيحان لنزول الآية والجمع ممكن بوقوع القصتين : قصة العسل وقصة مارية وأن القرآن نزل فيهما جميعا وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه وأما ما قيل من أن السبب هو تحريم المرأة التي وهبت نفسها فلريس في ذلك إلا ما روى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لك } في المراة التي وهبت نفسها للنبي A قال السيوطي : وسنده ضعيف ويرد هذا أيضا النبي A لم يقبل تلك الواهبة لنفسها فكيف يصح أن يقال إنه نزل في شأنها { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لك } فإن من رد ما وهب له لم يصح أن يقال إنه حرمه على نفسه وأيضا لا ينطبق على هذا السبب قوله { وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا } إلى آخر ما حكاه ا وأما ما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن ابن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول ا A فأخبره أنهما عائشة وحفصة ثم ذكر قصة الإيلاء كما في الحديث الطويل فليس في هذا نفي لكون السبب هو ما قدمنا من قصة العسل وقصة السرية لأنه إنما أخبره بالمتظاهرتين وذكر فيه أن أزواج النبي أيها يا } نزول سبب لا الاعتزال سبب ذلك وأن الليل إلى اليوم إحداهن وتهجره يراجعنه A النبي لم تحرم ما أحل ا لك } ويؤيد هذا ما قدمنا عن ابن عباس أنه قال لعمر من المراتان اللتان تظاهرتا ؟ فأخبره بأنهما حفصة وعائشة وبين له أن السبب قصة مارية هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية ودفع الاختلاف في شأنه فاشدد عليه يديك لتنجو به من الخبط والخلط الذي وقع للمفسرين وأخرج عبد الرزاق والبخاري وابن مردويه عن ابن عباس

قال : في الحرام يكفر وقال { لقد كان لكم في رسول ا أسوة حسنة } وأخرج ابن المنذر والطبراني والحاكم وابن مردويه عنه أنه جاءه رجل فقال : إني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا { لم تحرم ما أحل ا لك } قال : عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عائشة قالت : لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح فأنزل ا { قد فرض ا لكم تحلة أيمانكم } فأحل يمينه وأنفق عليه وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن عائشة في قوله : { وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا } قالت : أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي وأخرج ابن عدي وأبو نعيم في والصحابة والعشاري في فضائل الصديق وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن علي وابن عباس قال : وا إن إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب { وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا } قال لحفصة : أبوك وأبو عائشة واليا الناس بعدي فإياك أن تخبري أحدا بهذا قلت : وهذا ليس فيه أنه سبب نزول قوله : { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لك } بل فيه أن الحديث الذي أسره رسول ا A هو هذا فعلى فرض أن له إسنادا يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة وهي مقدمة عليه ومرجحة بالنسبة إليه وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : { فقد صغت قلوبكما } قال : زاغت وأثمت وأخرج ابن المنذر عنه قال : مالت وأخرج ابن عساكر من طريق ا بن بريدة عن أبيه في قوله : { وصالح المؤمنين } قال : أبو بكر وعمر وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مثله وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في فضائل الصحابة من وجه آخر عنه مثله وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر وابن عباس مثله وأخرج الحاكم عن أبي أمامة مرفوعا مثله وأخرج ابن أبي حاتم قال السيوطي بسند ضعيف عن علي مرفوعا قال : هو علي بن أبي طالب وأخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس [سمعت رسول ا A يقول : { وصالح المؤمنين } علي بن أبي طالب] وأخرج ابن مردويه وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس في قوله : [{ وصالح المؤمنين } قال : هو علي بن أبي طالب] وأخرج الطبراني وابن مردويه عن بريدة في قوله : { ثيبات وأبكارا } قال : وعد ا نبيه A في هذه أن يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون وبالبكر مريم بنت عمران